ظاهرة الحجاب في الجزائر وظائف ودلالات من الواقع

د/ مريم صالح بوشارب
أستاذة محاضرة أ
قسم علم الاجتماع
جامعة باجي مختار عنابة.

المستخلص:
يهدف هذا المقال إلى دراسة ظاهرة الحجاب في الجزائر وذلك في ظل الإنتشار الكبير للظاهرة، إضافة إلى أشكاله المتعددة و المختلفة حد التناقض لدرجة أنه صار يجمع بين الشئ و نقيضه. إن هذا التنوّع في الشكل والاختلاف في التسمية يحيل إلى اتساع دلالات الحجاب وتعدّد وظائفه، الأمر الذي استوجب تدخل الخطاب السوسيولوجي وتحريضه على التساؤل والكشف عن مفهوم الحجاب شرعا وأهم الآيات التي تحيل إلى ذلك مع إسقاط هذا المفهوم على تمثلات المبحوثات للمفهوم كمرحلة أولى والكشف عن دلالات الحجاب في مرحلة ثانية، لنعرج بعد ذلك إلى حصر أشكال وتلونات الحجاب، مع البحث عن أسباب ارتداء المبحوثات له ومدى تطابق هذا اللباس مع الشروط التي استقر عليها العقل الفقهي.
وقد خلص المقال إلى نتائج من اهمها:

مقدمة:
شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين وبداية الواحد و العشرين انتشار كبير للحجاب وحضورقوي له، جعل منه الشكل السائد و المسيطر على الفضاء العام، الأمر الذي استدعي تدخل الخطاب السوسيولوجي وتحريضه على التساؤل في هكذا موضوع، وسحبه من فضاء وسلطة الخطاب الديني الذي احتكره ومازال كذلك. ويرجع هذا الإستدعاء إلى الانتشار الكبير لظاهرة الحجاب في المجتمع الجزائري، إضافة إل أشكاله المتعددة و المختلفة، إن هذا التنوّع في الشكل والاختلاف في التسمية يحيل إلى اتساع دلالات الحجاب وتعدّد وظائفه،" فالعلامات السيميائية مرتبطة بسياقات متعددة منها التاريخي والديني والاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي والنفسي، وهي عوامل تجعل تحليل علاقة المرأة بالعلامة علاقة مخصوصة" (١)"،بمعنى أدق ان الجسد الأنثوي يخضع لسلطة الفضاء الرمزي، هذا الأخير يبني تمثلات وتصورات عن المرأة وجسدها، ما جعل للحجاب مفهوم مرتبك وضبابي، في ظل تشابك أبعاده المختلفة (اجتماعية، ثقافية، سياسية، دينية).فعلاقة المرأة بالحجاب تعكس لنا الثقافة التي تؤطر هذا الجسد المتحجب، وتكشف طبيعة العلاقات السائدة بينه وبين الفضاء العام، كما تحدد لنا نمط العلاقات الاجتماعية التي تربطه بمكونات هذا الفضاء خاصة الذكور.
إن التواصل المستمر للمرأة مع جسدها عبر الحجاب يؤكد قوة حضوره في كل حالات التواصل الاجتماعي. كما يكشف التمثلات الاجتماعية حول هذا الجسد والمعايير التي يعتمدها كل مجتمع في الحكم عليه وتصنيفه اجتماعيا، أخلاقيا ودينيا. وتكون بذلك هذه التمثلات مدخلا رئيسيا لمعالجة وفهم ظاهرة الحجاب فهما دقيقا وإزالة تلك الضبابية المحاطة بمفهوم الحجاب وهنا تكمن أهمية بحثنا، إذ لا يمكن دراسة هكذا موضوع والبحث عن دلالاته إلا ضمن ثقافة لديها تصورات عن الجسد، والتي تختلف من مجتمع إلى أخر باختلاف السياقات التاريخية و الثقافية.
فظاهرة الحجاب في الجزائر مثلا تختلف عنها في تونس وكذلك في السعودية و اليمن، فعلاقة المرأة السعودية بالحجاب تأسست ضمن منظومة ثقافية تاريخية خاصة، و هو ما يجعلها مختلفة تماماعن التي في تونس و الجزائر ، فالحجاب من هذا المنطلق جزء من منظومة تاريخية، ثقافية، دينية، سياسية،اجتماعية متكاملة، وقبل الخوض في هذه المسألة، سنحاول أولا تبيان البعد الديني للحجاب.

الحجاب من المنظور الدينى:
تتفق جل الفتاوى: المتشدد منها و المعتدل و الأكثر اعتدالا على أن جسد المرأة عورة، "فهو مصدر الفتنة والباب الذي يدخل منه الشيطان "و لهذا يجب ستره من خلال الحجاب، غير أن الخلاف في هذه المسألة انحصر في جزئية صغيرة، و هي الوجه و الكفين إضافة إلى صوت المرأة

، فقد ذهب بعض من الفقهاء إلى القول بان جسد المرأة بكامله عورة و لا يجوز كشف الوجه و اليدين ومنه أوجبوا النقاب، في حين أجازت اغلب الآراء كشف اليدين و الوجه. وقد اعتمد هؤلاء الفقهاء في بناء حكم إلزامية الحجاب على ثلاثة آيات، واحدة في سورة الأحزاب وهي أسبق نزولا وهي ""يَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ ونساء ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ، ذٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيما" (الأحزاب ٥٩).وهنا نزل بصفة جلباب، ثم الآية الكريمة "**و**إذا سألتموهنّ متاعا فاسألوهنّ من وراء حجاب، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول اللّه ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إنّ ذلكم كان عند اللّه عظيما."(الأحزاب٥٣) وهنا نزل في صفة حجاب، **و** واثنتان في سورة النور "قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُورِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَآئِهِنَّ أَوْ آبَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيۤ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيۤ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ ٱلتَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ، وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوۤاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (سورة النور ٣٠-٣١). وهنا بصفة الخمار*.

فالحجاب حسب هذا التأويل نوعين: حجاب فضائي لا مرئي وظيفته الفصل بين النساء و الرجال وقد جاء في الآية (٥٣ من سورة الأحزاب)، و تختص به زوجات الرسول " ص".

وأما النوع الثاني من الحجاب فهو حجاب جسدي ثوبي مرئي تجسد في الخمار و الجلباب و قد جاء في الآيات (سورة الأحزاب أية ٥٩،سورة النور أية ٣٠ -٣١). وقد نزلت هذه الآيات للتفريق بين النساء الحرائر و بين الإماء نتيجة شكاوي بعض نساء النبي و الصحابة لما يتعرضن له من مضايقات عند خروجهن برفقة إماءهن لقضاء الحاجة في الخلاء. وهو ما حرض بعض المحاولات الاجتهادية منافاة حكم إلزامية الحجاب:كمحاولات جمال البنا، وحسن الترابي، و أما محمد عابد الجابري فقد حاول أن يبين أنه قول فيه مختلف.

وبغض النظر عن موقف الدين من الحجاب و الذي اختلف فيه المجتهدون و إن كانت الغلبة و النفوذ إلى اعتباره فريضة وهو امر يهم الفقهاء وحدهم،، فان المقاربة السوسيولوجية للحجاب هي ما تهمنا في هذا المقام "باعتباره رمزا صريحا يشير إلى وضع سيكولوجي للأنوثة يستمد كامل مضامينه من مجمل التصورات التي يملكها الفرد المسلم (أنثى أو ذكر)عن جسد المرأة"(٢).

المفهوم السوسيولوجي للحجاب:

لا يمكن مقاربة الحجاب مقاربة سوسيولوجية، إلا من خلال فهمه وكشف دلالاته ضمن الثقافة التي تأسس فيها و هي الثقافة الإسلامية التي لها تصور خاص للجسد الأنثوي. الأمر الذي استوجب النزول للميدان والبحث عن التمثلات المختلفة للحجاب والكشف عن الأسباب العميقة التي تقف وراء ارتداء المرأة له، محاولين بذلك رصد أهم دلالات الحجاب ووظائفه.

في دراسة معونة: **تمثلات المرأة للحجاب، دراسة سوسيولوجية على عينة من نساء جامعيات**.

ولكشف التمثلات فقد استعنا بمنهج تحليل الخطاب،باعتباره الأنسب لهكذا موضوع،معتمدين على المقابلة كأداة رئيسة لجمع البيانات،طبقت على عينة قوامها ٢٠٠ مبحوثة(أستاذات جامعيات)،وقد وقع اختيارنا للجامعيات لإنتماءهن للطبقة المثقفة القادرة على إعطاء صورة واضحة وتحليل منطقي وكذلك علمي للظواهر، كما أردنا التركيز على المستوى الثقافي ككاشف أساسي ومحدد رئيسي لتمثلات المرأة ليس فقط للحجاب بل للجسد، كما رعينا صفة التمثيلية في اختيار المحجبات بنسبة ١٠٠%.

وقد توصلنا إلى النتائج التالية:

مفهوم عينة البحث للحجاب:

التحليل المعجمي لمعنى الحجاب:

من خلال التحليل المعجمي بإمكاننا التعرف على الشحنات المختلفة للمفردة أو الكلمة، سواء كانت ذات طابع عاطفي، أيديولوجي، سياسي، اجتماعي، عقائدي.

إضافة إلى ذاك فالتحليل المعجمي يعرفنا عن اللغة المعممة المتناول بين أغلب الناس، وهي في نفس الوقت تعبر عن مواقف وتصورات تعكس إيديولوجيات و عقائد، و هنا نتساءل هل يعي مستعملها دلالتها أم لا ؟لماذا يستعملها ؟ومتى يستعملها ؟و كيف يستعملها ؟

ومن خلال التحليل المعجمي نعرف كذلك مكانة المفردات من خلال حجمها و تكرارها، لذلك فقد قمنا بالتحليل التواتري قبل المعجمي لتحديد دلالات الحجاب.

لاحظنا من خلال تواتر بعض المفردات، أن معجمية المبحوثات استعملت مفردات ذات أطر مرجعيتها اجتماعية في الأساس، فمعنى الحجاب أخذ انزلا قات على مستوى المعنى، أين انتقل من الفضاء المعرفي الديني الذي تأسس فيه أول مرة، لينتقل إلى فضاء مغاير و هو الفضاء الاجتماعي، ويكسب بذلك معنى جديد مغاير نسبيا للذي كان عليه،.ففي الوقت الذي كنا ننتظر توظيف مفردات على شاكلة، ستر العورة، فرض. ..الخ، وجدنا مفردات ذات دلالة اجتماعية: سترة، بطاقة هوية و انتماء، طريقة لباس. ..الخ. أن الحجاب حسب هذه الإجابات لا يحمل مدلولا أو معنى واحدا، بل يجمع معاني مختلفة حد التناقض، فهناك من يخضعه لاعتبارات أخلاقية، وأخرى ثقافية، كما يعتبره البعض حامل الشيء و نقيضه.

أما إذ عدنا و تكلمنا عن المواقف و الاتجاهات، فإن هناك دلالات تحدد لنا تضمينات مؤيدة للحجاب تارة ومحايدة تارة، ومعارضة تارة أخرى.

الحقل الدلالي للحجاب ـ تضمينات:

نعني بالحقل الدلالي جملة الاستعمالات لمفردة أو كلمة معينة و التي تعطي لها شحنة دلالية خصوصية، تحددها وحدات السياق المتمثلة في إجابات المبحوثات. حيث سنربط الجحاب بالجسد بصورة أدق"أن ننظر إلى الجسد في كل أبعاده الدلالية، وأن ننشغل به في تعدده الدلالي مع الأخذ بعين الاعتباركل أبعاده"(٣)ويكون بذلك الحجاب ليس أكثر من مدلول يحيل إلى دلالات أعمق.

رأينا من خلال التحليل المعجمي أن وصف المبحوثة للحجاب يتضمن مواقف لأن هناك دلالات متعددة يحملها الحقل الدلالي، تكون تمثلات و ليس تمثل، فيها تضمينات تحمل دلالات متعددة.

١ ـ تضمينات مؤيدة للحجاب:

الحجاب سترة و حماية للمرأة:

لقد جعلت هذه الفئة و البالغة نسبتها ٤٠% من الحجاب سترة للجسد وحماية له. حيث تواترت كلمة سترة وحماية ١٠٤ مرة. إن المعنى الذي تحمله المرأة عن الحجاب دو دلالة اجتماعية، فطبيعة المجتمع الذي تنتمي إليه عينة البحث ذكورية بامتياز، يشكل فيها الجسد الأنثوي مصدر الغواية و الخطيئة و بالتالي يجب ستره، لتجنب أي اعتداء سواء كان لفظي أو جسدي. لقد كانت كلمة "سترة "حاضرة بقوة من حيث تواترها لدى المبحوثات، ونعتقد أنها استجابة للتقاليد الموروثة و كامتداد للملاءة، خاصة و أن كلمة سترة متداولة بشكل مباشر في الخطاب اليومي. وبهذا كانت النواة المركزية لهذا التمثل.

فالنواة المركزية كما يوضحها(Seca) " تلخص الثقافة و المعايير و القيم و السلوكات المعتادة للمجتمع المحلي"(٤). ولأنها ذات صلة بهذه الموضوعات الهامة والحساسة فإنها تتصف بنوع من الاستقرار لأنها مورد متناسق ومقاومة للتغيير لذا من الطبيعي ألا تستجيب أو تستجيب قليلا والحال كما في تحليلنا هذا إذ تكشف لنا النواة المركزية أن تمثلات المبحوثات ليست تمثلات لمعاني الحجاب بقدر ما هي تمثلات عن الجسد الأنثوي وما يحمله من دلالات رمزية والتي تلخص ثقافة المجتمع السائدة.و هو ما جعلها تشكل نواتها المركزية.

رمز الطهارة و العفة:
أما هذه الفئة فمازالت تعتقد في البعد الديني و الأخلاقي للحجاب، حيث ربطت الحجاب بالأخلاق واختزلته في دائرة الطهارة و العفة، عازلة بذلك الاجتماعي، و قد تواترت كلمة طهارة و عفة ٨٢ مرة. لتشكل بذلك النواة المحيطة بنسبة ٤٠%.

بطاقة بطاقة هوية و انتماء:
ركزت هذه الفئة و البالغة ٢٠،٧٦% على البعد الرمزي للحجاب الذي تجاوز الحمولة الدينية و الأخلاقية، ليدخل دائرة الثقافي باعتباره رمزا للهوية ، و قد تواتر هذه المفردة ٥٤ مرة. ويمكن إدراج هذه الفئة ضمن الأنوية البسيطة.

٢ ـ تضمينات مخالفة لمعاني للحجاب:

تدين زائف:
تظهر هذه الفئة رغم قلتها ٦،١٥%،دلالة واضحة في الفصل بين الحجاب و الأخلاق، بل سخطها واستهزائها لبعض أشكال الحجاب، فربط الحجاب بالتدين حسب هذه الفئة خاطئ ومساس بقيمة الحجاب و الفتاة معا، فليست كل محجبة متدينة، و ليست كل متدينة محجبة حسب هذه الفئة. وقد تواترت ١٦ مرة. ويمكن إدراج هذه الفئة ضمن الأنوية الخارجية.

٣ـ تضمينات محايدة:

طريقة لباس:
أما الفئة الأخيرة و البالغة نسبتها ١،٥٣%، فقد جعلت من الحجاب ليس أكثر من طريقة لباسها يتعاطى معها الجسد، بل وصفته بعض المحجبات بالموضة التي ركب موجتها كثير من الفتيات.ويبدو من خلال هذه الفئة خلو الحجاب من أي حمولة دينية، أخلاقية، ثقافية، اجتماعية، ليحدد ضمن أذواق شخصية لا أكثر بتواتر٤ و هو ما يجعلها تدرج ضمن الأنوية الخارجية.

أشكال الحجاب الرائجة و مسمياتها:

اشكال وأنواع الحجاب

هناك العديد من اشكال وانواع الحجاب وفقا للثقافة السائدة ومن هذه الأنواع ما يلى:

١ ـ حجاب العادة وهو أنواع:

ـ العباءة السوداء السائدة في بلدان الخليج و اليمن منذ القدم، تستر سائر الجسد، وقد لاقت رواجا في بعض من الدول العربية خاصة الجزائر ليصبح لها دلالة دينية بعد أن كانت اجتماعية و تسمى بالحجاب السلفي.

ـ الحايك و الملاية وهي قطعة قماش لونها أصفر فاتح بالنسبة للحايك، وأسود داكن بالنسبة للملاية تغطي كل الجسد، انتشرت لزمن طويل في دول المغرب العربي خاصة تونس و الجزائر لتتلاشى في السنوات الأخيرة وتتراجع ـ بالرغم من تطابقها مع الشروط التي استقر عليها العقل الفقهي التقليدي في مسألة الحجاب ـ نتيجة محاصرة الحجاب لها و طغيانه على الفضاء الاجتماعي.

٢ـ الحجاب الشرعي بالمفهوم السائد في الخطاب الديني:

وهو حجاب يخضع لجملة من الشروط أهمها: أن يكون ساتر كل الجسد من الرأس حتى الرجلين، يتكون من خمارو جلباب فضفاض غير شفاف، ألوانه لا تثير النظر و غالبا ما تكون داكنة.

٣ ـ الحجاب العصري أو المودرن:

و يسمى كذلك بحجاب الموضة ، وهو أنواع أيضا بحسب درجة تبعيته للموضة ودرجة التزامه بالشروط الشرعية، وهو نوعان:

ـ حجاب عصري خاضع للشروط الشرعية غير انه مختلف عن الجلباب، فهذا النوع من الحجاب غالبا ما يتكون من ثلاث قطع فأكثر (سروال أو تنورة، قميص طويل، خمار)،كما يخفي هذا النوع كل تضاريس جسد المرأة بحيث لا يكون ضيقا ولا شفاف ولا مثير للنظر.

ـ "حجاب عصري يتعولم فيه الجسد وفق نمط اقتصاد السوق، ويتابع كل انتاجات الموضة و التجميل ويتميز هذا النوع من الحجاب بتناسق الألوان خاصة منها الزاهية وتعدّد الأشكال وزخرفة الرسوم، و أما الوجه فهو لا يقل تناسقا عن ألوان اللباس من خلال استعمال المساحيق إضافة إلى عدسات العيون و الأشفار الصناعية"، كما يتفرد هذا النوع من الحجاب من انفلاته التام من السائد المشترك و شروطه الشرعية، وتجدر الإشارة هنا أن استعمال كثير من المحجبات لهذا النمط على أجسادهن لا يختلف عن استعمال غير المحجبات له،سوى في قطعة القماش التي توضع على الرأس، ويتسامحن في بقية الملابس التي تغطي بقية الجسد.بل قد نجد غير المحجبات أكثر تحفظا في علاقتهن بأجسادهن.

إن التحولات الطارئة على شكل الحجاب في المجتمعات العربية المعاصرة يخبرنا عن تحوّل طرأ على علاقة المرأة بالحجاب كاشفا بذلك عن علاقتها بجسدها.

فالقراءة التاريخية لظاهرة الحجاب في الجزائر تكشف الخلفية الدينية وراء انتشاره في السبعينات و الثمنينات من القرن الماضي نتيجة انتشار الإسلام السياسي أو الصحوة الدينية كما يسميها أنصار هذا التيار، أين توسعت قاعدته الاجتماعية، وكان الحجاب بمثابة إعلان عن انتماء إلى الحركات الإسلامية، كما مثل الحجاب تحد مجتمعي للقيم الغربية والمؤامرة التي كانت تستهدف الدين من خلال هدم أخلاق المرأة وخصوصا اللباس و هو ما حاول تأكيده الخطاب الديني باستمرار .

لقد أدى ارتداء الحجاب و انتشاره بخصائصه الموحدة وشكله في هذه المرحلة، إلى إحداث قطيعة مع اللباس التقليدي السائد والذي كان يحجب جسد المرأة (الحايك و الملاية) أو مع لباس الموضة آنذاك، فلم يكن الحجاب سوى شكلا واحدا و هو الحجاب الشرعي أو الملتزم و ارتبط أليا بالعفة و الطهارة وصار علامة حصرية على الأخلاق التي تغيب بغيابه و تحضر بحضوره ليطلق على غير المحجبة بالسافرة و المتبرجة، وينتهي الأمر بهذه العلاقة الشرطية لتمارس سلطتها و تتحكم في الفضاء الاجتماعي ويتحول بذلك الحجاب زمانيا من واجب ديني إلى حاجة اجتماعية، يعاد إنتاجه بصور مختلفة حد التناقض مع شكله الأصلي، حاملا معه دلالة الشيء و نقيضه حسب الباحثة رجاء بن سلامة، و صار للحجاب قدرة خارقة على استدعاء السفور و احتواءه أيضا بعد ما كان يحاربه.

إن تعبئة الحجاب بحمولة دينية وأخلاقية، جعله في كثير من الأحيان ـ نستثني هنا من كانت لها دوافع دينية ـ أداة من أدوات التواصل الاجتماعي لاكتساب شرعية الاعتراف بالتدين والأخلاق، وبالتالي منح الفتاة بعض من الطمأنينة و الهدوء نتيجة تماهيها مع النسق ألقيمي السائد اجتماعيا وانسجامها معه، و الذي يزودها بتوازن شخصي ومن تم بتقدير ذاتي و اجتماعي، و هنا تكمن الوظيفة السيكولوجية و الاجتماعية للحجاب، وهي ما لم تمنعه من أن يكون أسلوب جديد في التعاطي مع الجسد أكثر منه أداة تحجب تفاصيله، من خلال التحايل عليه والاشتغال على تفريغ مضمونه. ليصبح ليس أكثر من ممارسة اجتماعية تتلون بايقاعات الموضة العالمية، فارضا بذلك عبئا أخر على الدين و المجتمع في البحث عن وسائل جديدة لضبطه. إن اختزال الحجاب في الشكل سواء كان منه المتشدد أو العاري و إفراغه من أي مضمون أخلاقي يخفي أزمة وعي ليس على مستوى الأفراد في علاقتهم بالمنظومة الأخلاقية و الدينية فحسب بل، على مستوى الخطاب الديني، فلم تعد غير المحجبة وحدها المدانة أخلاقيا، بل صارت المحجبة و الملتحي موضع شك وريبة و استهجان، وهو ما يجرنا إلى البحث عن حقيقة العلاقة بين الحجاب و الأخلاق بل أعمق من ذلك إلى حقيقة العلاقة بين الدين و الأخلاق، غير أن ذلك خارج موضع بحثنا البتة.

أسباب ارتداء الحجاب:

حاولنا في هذا العنصر قدر المستطاع أن نصل إلى الأسباب الحقيقة وراء ارتداء المبحوثة للحجاب، وقد جاءت إجاباتهن كالتالي:

بالنسبة للمحجبات:

١ ـ لأنه فريضة:

أكدت هذه الفئة و البالغة نسبتها ٧٢،٠٥% و هي أعلى نسبة على الإطلاق، إلزامية الحجاب، بل جعلت البعض منهن ركنا أساسيا لاكتمال دينها، كما ظهر جليا من خلال بعض إجابات هذه الفئة القناعات الشخصية للمبحوثات في ارتدائهن للحجاب وإيمانهن المطلق به، في حين اكتفت أخريات بذكر حكمه، وقد جاءت بعض الإجابات كالتالي:

ـ صلاة بلا حجاب، كصوم بلا صلاة، فلا معنى للصلاة في غياب الحجاب.

ـ الحجاب فرض على كل مسلمة كالصلاة، المرأة غير المحجبة تلعنها الملائكة.

ـ لأنه فرض، فمهما صلت المرأة أو صامت، أو حتى قامت الليل، وكانت على خلق تبقى أخلاقها و دينها ناقص، فهي عارية الشعر و اليدين و الرجلين.

تبدو من خلال هذه الإجابات الحمولة الدينية القوية للحجاب ووجوب التزام المرأة المسلمة به، فالحجاب بهذا المعنى أخلاق و تدين كامل، وهنا تبدو واضحة العلاقة الشرطية بين الحجاب و التدين و الأخلاق في حين أسقطت بعض المبحوثات البعد الأخلاقي و الديني للحجاب.

٢ ـ ضغوط عائلية:

أكدت هذه الفئة و البالغة نسبتها ٩،٦٧%، أن ارتدائها للحجاب كان نتيجة الضغوطات التي مارسها بعض من أفراد الأسرة: الأب، الأم، الأخ، الزوج، ولتوضيح الفكرة أكثر فقد جاءت بعض الإجابات كالتالي:

ـ اشترط علي زوجي الحجاب مقابل العمل، و إما البقاء في البيت، زوجي رجل غيار (غيور)، و أنا لم أكن أفكر في الحجاب في تلك الفترة لأنني كنت صغيرة و أحب لباس الموضة كثيرا.

ـ بعد أن حصلت على شهادة التعليم الأساسي و التحقت بثانوية st augustin، فرض علي أخي الحجاب، بحجة أنه على علم بما يحدث في تلك الثانوية، التي تجمع الفتيات المتحررات و المتفرنسات، و لكي لا يوقفني عن الدراسة اضطررت إلى لبسه، صراحة عنيت كثيرا السنوات الأولى من ارتدائه، أما الآن فقد تعودت عليه، خاصة بعد أن تزوجت.

ـ أبي رجل متدين، وألبسني الحجاب بعدما بلغت مباشرة، و قد كنت الفتاة الوحيدة في المدرسة التي ترتدي الحجاب، و لو كان لي الخيار لما لبسته صراحة.

يبدو الحجاب بالنسبة لهذه الفئة ليس أكثر من تأشيرة خروج إلى الفضاء الخارجي بهدف الانخراط في الحياة الدراسية أو المهنية وتحقيق الأحلام، فشرط الدراسة أو العمل مرتبط بشرط حجب الجسد و إفراغه من أي مضمون جنسي، إن الحجاب بالنسبة لأسر هذه الفئة (سواء كان أب أو أخ أو زوج) حد أدنى من الضمانات الأخلاقية والية من آليات الضبط و مراقبة شكل وحركة الجسد في الفضاء العام، أما بالنسبة للمبحوثات فهو بمثابة تعاقد ضمني، تضمن من خلاله المبحوثة تحررا نسبيا لتحقيق الذات.

٣ـ اختزال الأهتمام بالشكل الخارجي:

كشفت هذه الفئة البالغة نسبتها (١٨،٢٧%)و هي نسبة معتبرة أن الحجاب يوفر الجهد و الوقت بل و حتى المال في الاعتناء بالمظهر الخارجي، و هو السبب الرئيسي الكامن وراء ارتدائها للحجاب. لم تجد هذه الفئة حرجا في الكشف عن الدوافع الحقيقية لتحجبها، فعلاقتها بارتداء الحجاب يغنيها بل يعوضها عن عجزها في مجارات الملابس العصرية و الاهتمام بالمظهر الخارجي خاصة تسريحة الشعر وما ينجر عنه من ذهاب إلى الحلاقة و الانتظار لساعات، فالحجاب بالنسبة لهذه الفئة حلا عمليا للتخلص نسبيا من الاعتناء المفرط بالجسد.

المواصفات الشرعية للحجاب:

رأينا سابقا أن للحجاب الملتزم أو الشرعي كما يحلو للكثيرين نعته، شروط و خصائص، فما هي خصائص أو شروط الحجاب الشرعي حسب عينة البحث:

ـ أن لا يكون شفاف وضيق، ساتر للبدن و الرأس: أجمعت أغلب المبحوثات على نفس الشروط بنسبة ٥٥،٤٧%.

ـ لا يثير الانتباه: في الوقت الذي حددت فيه الفئة السابقة خصائص وشروط الحجاب بدقة بناءا على اطلاع مسبق بالموضوع، اكتفت هذه الفئة و البالغة نسبتها ٢١،٩١% القول بـ ـ لا يثير الإنتباه ـ فلم تحدد هذه الفئة بالرغم من إصراري على إعطاء توضيح اكثر لمعنى ـ لا يثير الإنتباه ـ إلا أنها اكتفت بكلمة عدم الإثارة، و قد يرجع ذلك إلى افتقار مبحوثات هذه الفئة لثقافة دينية حول الحجاب.

ـ غض البصر: وفي الوقت الذي ركزت فيه أغلب عينة البحث على المواصفات الشكلية للحجاب الشرعي ، نجد نسبة قليلة فقط و البالغة ١٩،١٧% تؤكد على غض البصر باعتبارها أول خطوة لارتكاب الفاحشة حسب هذه الفئة.

ـ أما الفئة الأخيرة و البالغة نسبتها ٣،٤٥% ، فقد أبدت جهلها التام لمواصفات الحجاب الشرعي، ويرجع ذلك إلى إكراه هذه الفئة على لبسه.

وعلى العموم وكما يبدو من الإجابات السابقة، تأكيد المبحوثات على البعد الظاهري للحجاب مع إهمال البعد السلوكي و الأخلاقي للحجاب، و هو أول مؤشر لتأكيد البعد الاجتماعي للحجاب.

مدى تطابق الحجاب مع المواصفات الشرعية:

لقد كانت الإجابات كالتالي:

عدم تطابق الحجاب مع الصفات الشرعية:

أكدت نسبة ٥٢،٨٠%،وهي أعلى نسبة عدم تطابق حجابها مع الشروط الشرعية المجمع عليها و قد أرجعت ذلك إلى الأسباب التالية:

١ـ مجارات اللباس العصري:

تعكس لنا هذه الفئة والتي نسبتها ٧٠،٩٥% ،ذلك التحول الطارئ في علاقة المرأة بالحجاب و كذلك في علاقة المرأة بالجسد، فاللباس العصري الخاضع للموضة كنظام مستمر التحول للألبسة و الأزياء لا يتوافق مع الحجاب الخاضع لمرجعية دينية ثابتة، إن هذا التناقض الحاصل بين شكل المبحوثات المحجبات و الحجاب الشرعي، يؤكد مقولتنا السابقة أن الحجاب في هذه الحالة ليس أكثر من واجب اجتماعي.

٢ـ بغرض الزواج:

أما هذه الفئة وهي الأقل نسبة ٢٩،٠٤% فقد حاولت أن تجمع بين الحجاب كرمز للعفة و الأخلاق وبين الموضة كآلية للاشتغال و الإستثمار في الجسد ومن تم كسب معجبين و الظفر بالعريس، الذي يختار في عروسته الأخلاق و الجمال و الأناقة، هذت هو تصور هذه الفئة، و العائق الذي حال دون التزامها بضوابط الحجاب.

تطابق الحجاب مع المواصفات الشرعية:

أكدت نسبة ٤٧،٢٠ %، من المبحوثات التزامها بالشروط الشرعية للحجاب، و التي سبق و أن حددتها، و قد أرجعت هذه الفئة التزامها بالضوابط إلى:

كسب مرضاة الله:

جعلت هذه الفئة و البالغة نسبتها ٥٦،٢٠% من مرضاة الله سببا رئيسيا في الالتزام بشكل الحجاب الذي حدده الشرع، وقد ربطت هذه الفئة مرضاة الله بحماية الدين من خلال حماية أخلاقها وأخلاق الرجال خاصة من فتنة الجسد الأنثوي الذي يشكل عنصر خلخلة واضطراب على مستوى النسق القيمي و الديني.

حماية الجسد و تجنب المضايقات:

خلافا للفئة الأولى، عبرت الفئة الثانية والبالغة نسبتها ٤٣،٨٠% عن الحجاب الملتزم بأداة تمنع جسد المرأة من أن يكون مفتوحا ومخترقا من طرف النظرة الذكورية، فالحجاب الشرعي هنا آلية

من اليات إسقاط البعد الجنسي على الجسد الأنثوي و بالتالي ضمان حرية أكبر في الحركة في الفضاءات العمومية، إن الحجاب الملتزم، حسب هذه الفئة هو حماية للمرأة وجسدها وليس منعا للفتنة .

الآيات و الأحاديث الشريفة و إلزامية الحجاب:

إن أول شيء أثار انتباهنا من خلال إجابة المبحوثات هو ضعف المعرفة بالنصوص الدينية المتعلقة بالحجاب على مستوى النصوص المؤسسة (القران الكريم والسنة النبوية)،حيث اكتفت نسبة ٨٢،٠٢%على تأكيد فريضة الحجاب وإلزاميته، متحججين بأن ذلك مذكور في القران و الحديث،كما اكتشفنا جهل تام لهذه الفئة للمعاني المختلفة الدلالة التي نزل بها الحجاب (الخمار، الجلباب، الحجاب) مع التأكيد على معنى واحد وهو الحجاب الجسدي و ليس الفضائي أو المكاني، وحتى من لهن معرفة بالنصوص من خلال ذكر رقم الآيات و السور حيث كانت نسبتهم ٧،٨٦%،فإن أقلية منهم كانت قادرة على تلاوة الآيات بدون خلط أو أخطاء، مع جهل مطلق لأسباب النزول.

نتائج البحث:

أخد مفهوم الحجاب دلالات متعددة الحقول(اجتماعية،دينية،ثقافية...)وقد كان البعد الإجتماعي حاضر بقوة (تواتر مفردة سترة١٠٤). وتكون بذلك النواة المركزية للتمثل
كاشفة بذلك تمثلات ليس لمعاني الحجاب بقدر ما هي تمثلات عن الجسد الأنثوي وما يحمله من دلالات رمزية.

احتفظت فئة ثانية بالبعد الديني و الأخلاقي للحجاب، و قد تواترت كلمة طهارة و عفة ٨٢ مرة لتشكل بذلك النواة المحيطة.

في حين ركزت الفئة الثالثة على البعد الثقافي للحجاب أين تواترت مفردة رمز الهوية ٢٤مرة،وتشكل بذلك النواة البسيطة للتمثل.

أما الأنوية الخارجية للتمثل فقد كانت تضمينات مخالفة للمعاني السائدة عن الحجاب(الحجاب تدين زائف،طربقة لباس يتواتر١٦مرة).

اما أسباب ارتداء الميحوثات للحجاب فقد اكدت أغلبية عينة البحث فرضية الحجاب و الزاميته بنسبة ٧٢،٠٥%، وهنا تبدو واضحة العلاقة الشرطية بين الحجاب و التدين.

أما الفئة الثانية و اليالغة نسبتها ١٨،٢٧% فقد أرجعت سبب ارتدائها للحجاب إلى اعتبارات:الجهد، الوقت،والمال، فهو موفرا لها.

و أماعن التزام عينة البحث بالشروط الشرعية للحجاب فقد اجابت نسبة ٥٢،٨٠% عن عدم تطابق حجابها مع الشرع وقد أرجعت ذلك إلى هدة أسباب منها:

مجارات اللباس العصري بنسبة ٧٠،٩٥%.

بعرض الزواج بنسبة٢٩،٠٤%.

أما بالنسبة للفئة التي أجايت بتطابق حجابها مع المواصفات الشرعية والتي كانت نسبتها ٤٧،٢٠ % فقد أرجعت ذلك إلى الأسباب التالية:

كسب مرضاة الله بنسبة٢٠،٥٦%.

حماية الجسد و تجنب المضايقات بنسبة ٤٣،٨٠%.

وعلى الهموم فقد لاضنا من خلال نتائج البحث السابقة ضعف عينة البحث بمعرفة االنصوص الدينية المتعلقة بالحجاب على مستوى النصوص المؤسسة (القران الكريم والسنة النبوية)، حيث اكتفت نسبة ٨٢،٠٢%على تأكيد فريضة الحجاب وإلزاميته، مع التأكيد على معنى واحد وهو الحجاب الجسدي، في وجود أقلية منهم كانت قادرة على تلاوة الآيات بدون خلط أو أخطاء، مع جهل مطلق لأسباب النزول.

خاتمة:

ما يمكن قوله في الأخير أن أغلب المبحوثات و إن أظهرن قناعتهن الشخصية في ارتداء الحجاب إلا أنهن عجزن عن إنتاج خطاب متماسك، مبني مفاهيميا ويحيل إلى الإسلام الفقهي أو إلى سلطة الخطاب، ويظهر ذلك من خلال توظيف مفردات بسيطة تتوقف عند الحدود الوصفية للحجاب ومدى درجة إلزامه الديني، نستثني هنا نسبة قليلة عملت على الاشتغال عليه و إعادة إنتاجه فقهيا عن طريق تحديد موقعه داخل المنظومة الدينية.

(١)أمال قرامي، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية: قراءة جندرية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧، ص.٣٨١.

(٢) امال قرامي،الجسد الأنثوي و العلامة،قراءة في ما وراء حجب، الحوار المتمدن - العدد: ٢٢١٤ – ٢٠٠٨،أنظر الموقع الإكتروني:

www.ahear.org

(٣)خالد السليكي حين يتعرى الجسد الأنثوي محجبا..مجلة الحوار المتمدن، العدد٢٢١٦ دبسمبر،نفس الموقع

٤)- Seca jean –Marie(2001), Les représentations sociales, coll. cursus ،sociologie, Armand Colin UVEF, Paris p75